الشاعر محمود البريكان ..

من العزلة الصامتة. الى الرحيل الفاجع.

عبد الحسين الغراوي

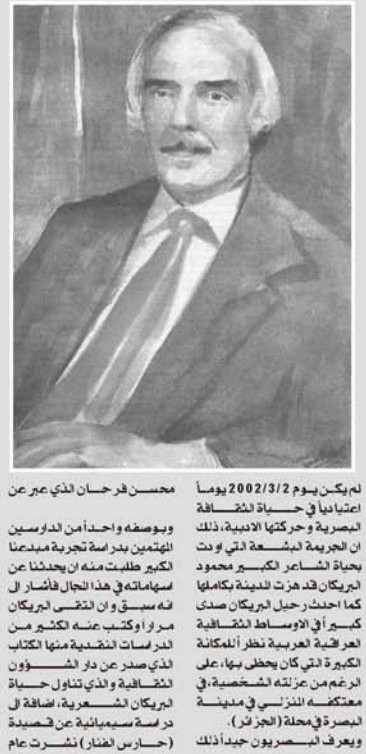

لم يكن يوم 2002/3/2 يوماً اعتيادياً في حياة الثقافة البصرية وحركتها الادبية، ذلك ان الجريمة البشعة التي اودت بحياة الشاعر الكبير محمود البريكان قد هزت المدينة بكاملها كما احدث رحيل البريكان صدى كبيراً في الاوساط الثقافية العراقية العربية نظراً للمكانة الكبيرة التي كان يحظى بها، على الرغم من عزلته الشخصية، في معتكفه المنزلي في مدينة البصرة في محلة (الجزائر).

ويعرف البصريون جيداً ذلك الانسان البسيط والخجول والطيب القلب الذي نادراً ما كان يغادر منزله الا لشراء بعض الحاجيات المنزلية الضرورية.

وقبل رحيله بعام واحد التقيته آخر مرة في مقهى صغير في شارع الكويت هو مقهى (القاهرة) في مساء صيفي جميل وكان يجلس متأملاً في فضاءات الحياة المفتوحة. وفاجأني حينها بمتابعة نشاطي ونشاط زملائي الادباء الصحفيين على الرغم من عزلته عندما ذكر لي تفاصيل دقيقة عن كتاباتي وكتابات زملائي. لقد كانت اصعب اللحظات هي تلك التي نقل فيها جثمان الشاعر الى مقبرة الحسن البصري في الزبير بحضور عدد قليل من اصدقائه واقربائه، حيث رقد بصمت ابدي الى جوار قبر صديقه الشاعر بدر شاكر السياب، وكأنها اشارة دالة على العودة الى مرحلة البداية حيث باشر الشاعران الكبيران مرحلة الريادة الشعرية في اواخر الاربعينيات ومطلع الخمسينيات.

وفي الذكرى الثانية يستذكر الادباء البصريون باجلال ذكرى شاعرهم الرائع حيث تجري التحضيرات في اتحاد الادباء في البصرة لإقامة احتفالية تأبينية بالمناسبة، حيث صرح رئيس فرع الاتحاد الاستاذ حاتم العقيلي بأن الاتحاد سيجعل من هذه المناسبة تظاهرة ثقافية متميزة تليق بمكانة الشاعر ومنجزه الابداعي.

وفي لقاء خاص مع الشاعر محمد صالح عبد الرضا اخبرنا بأنه يحتفظ ببعض القصائد النادرة للشاعر الراحل ومنها قصيدته (سحراً) وهي اول قصيدة عمودية كتبها الشاعر عام 1946 وكان حينها طالباً في الدراسة الاعدادية والتي تقول فيها:

((سحراً وقد خفقت على الارجاء اجنحة السكون
وتمزقت حجب الدجى وتعانقت هدب العيون))

ويقول الشاعر محمد صالح عبد الرضا بأنه كان قد حصل على هذه القصيدة من احد زملاء المرحوم وهو الشاعر عبد الرضا ملا حسن الرمضان عام 1969 الذي اشار الى ان المرحوم كان قد كتبها وهو في الصف الرابع العام من المرحلة الاعدادية، وعندما اطلع حينها البريكان على نص القصيدة فوجئ بها وقال انها من اوائل شعره. وبعد رحيل البريكان التقيت الناقد الدكتور فهد محسن فرحان الذي عبر عن

وبوصفه واحداً من الدارسين المهتمين بدراسة تجربة مبدعنا الكبير طلبت منه ان يحدثنا عن اسهاماته في هذا المجال فأشار الى انه سبق وان التقى البريكان مراراً وكتب عنه الكثير من الدراسات النقدية منها الكتاب الذي صدر عن دار الشؤون الثقافية والذي تناول حياة البريكان الشعرية، اضافة الى دراسة سيميائية عن قصيدة (حارس الفنار) نشرت عام 1997 واخرى عن قصيدة (سحر الاقنعة) نشرت عام 1997 ايضاً ودراسة تحمل عنوان (التناظر الايحائي الصوتي في شعر البريكان) نشرت عام 2000 ودراسة (الانفتاح على اللون والتشكيل) عام 1998، والرؤيا التشكيلية في شعر البريكان وقراءة نقدية لقصيدة (نهر تحت الارض) اضافة الى دراسات اخرى تتعلق بالمؤثرات الاسطورية في شعر البريكان، حيث يذهب الناقد الى ان اول قصيدة نشرها البريكان كانت 1948 في مجلة (الاديب) اللبنانية، وهي قصيدة من الشعر الحر وعلى وزن الكامل وكانت بعنوان (قتيل في الرفا).

وفي حوار خاص مع القاص يعرب السعيدي عن مساهمة البريكان في حركة الريادة الشعرية اشار الى ان صمت البريكان وخجله قد ادياً الى طمس الحقائق المهمة، حيث ان البريكان رفض الاجابة عن سؤال اول من كتب القصيدة الحديثة: السياب ام البريكان واكتفى بالابتسام الذي يشي بالاحتجاج الصامت على ما كتب عن تاريخ الشعر العراقي في هذا المجال. ويذكر ان السعيدي سبق له وان كتب عن قصيدة (حارس الفنار) في مجلة (الاقلام) العراقية. كما كتب عن الشاعر الراحل عدد من الادباء والنقاد منهم طراد الكبيسي وصبري حافظ وكاظم الحجاج وحسين عبد اللطيف ومجيد الموسوي ود محسن اطيمش ود. محمد النويهي ود. رعد السيفي الذي كتب اطروحته للدكتوراه عن تجربة الشاعر الراحل، كما كتب عنه الشاعر عبد الرحمن طهمازي وكاظم نعمة التميمي ود. مالك المطلبي، واشار مؤخراً الدكتور رياض الاسدي الى انه قد انجز كتاباً عن البريكان بالتعاون مع الباحثة اشراق سامي تحت عنوان (الازمة الكونية في شعر البريكان). ونحن نستذكر باجلال الذكرى الثانية لرحيل الشاعر محمود البريكان فكلنا امل في ان تحظى تجربة هذا الرائد الكبير بالدراسة وان تعمد الجهات الثقافية المعنية الى اصدار اعماله الكاملة وبعض الدراسات التي يعتقد بأنه قد انجزها ومنها دراسة عن ابي حيان التوحيدي واخرى عن الموسيقى اضافة الى مخطوطات عن الشعر والقصة.

في الذكرى الثانية لرحيل الشاعر محمود البريكان

الشعر الكوني: السماء والأرض.. قراءة في شعر محمود البريكان

د. رياض الاسدي

على حافة العالم، حيث يتشكل عالم آخر، بعد ان تطوى كل الأشرعة ويستريح المسافر دائماً على بقعة من الثلج كونتها في أغلب الأحيان ريح قديمة، في ذلك الوضع الذهني/ العقلاني، في كل مخرجات فوضى عالمنا المتجمد، تبدأ خطوات أخرى للمسافر، ولكن، بعد استراحة قصيرة من التأمل غير العميق، هناك، في ذلك المكان المفترض تعلن - في نهاية صفحة من رحلة العالم الشاقة - بداية قداس لروح شاعر كوني يقف، بغرابة، على حافة العالم. من هنا تبدأ حداثة الشاعر في علاقته بالكون قبل أن ينشيء أية علاقة أخرى ممكنة.

حداثة البريكان من النوع الكاسح Cataclysm التي تجتاز ذلك النوع من حداثة التقليعة البسيطة، أو الحداثة الناتجة عن ردة فعل بإزاء أحداث أو أوضاع بحد ذاتها، انها حداثة كافية في ذاتها (1)، لا تترك بنى حضارية أو فكرية إلا وقوضتها، كما إنها في الوقت نفسه تقترح بديلاً مليئاً بالتساؤلات ومشحوناً بالرغبة في المعرفة، ليكون قاعدة جديدة بإزاء عالم لا يستحق منا غير التغيير.. يقترح البريكان علينا الريح كمعادل موضوعي آت من عمق تجارب الماضي ليؤدي الفعل: (على الثلج ريح قديمة) (زفزفة الرياح / تعيد ذكرى حلم غابر) - قصيدة قداس لروح شاعر على حافة العالم / 1970 - يؤثث البريكان قصيدته على نحو درامي، ففي الوقت الذي يترك فيه المقطع الأول بلا تسمية، وقد تكون هي من مكونات صوت الشاعر نفسه، يبدأ المقطع الثاني بالصوت (2) (الذئب الأكبر يظهر في أفق آخر) أما الصوت (3) (بنات نعش تختفي في الفلك الأحمر) ثم يأتي الصوت رقم (1) ليؤكد ما كان يتوجب عليه أن يقال منذ البداية: (زفزفة الرياح / تعيد ذكرى حلم غابر). لكن البريكان يعود في الصوت الثاني معلناً أن، (الريح القطبية لا تنقل رجع الصوت / لا تنطلق الصرخة / لا يتذبذب في الريح سوى نفس الموت) ويعرف البريكان جيداً كيف يستخدم مفردتي الرياح والريح في إماكنهما وبما يخدم تدفق الصور والمعاني في القصيدة.

إن حداثة البريكان كونية، وهو يفكر طويلاً فيما يكتب، ويرافق عمله الشعري تظافر ملحوظ من التخطيط الفكري والقصدية. لكنه يستطيع وببراعة أن يجعل تأثيث قصيدته الخارجي مضيئاً وجسراً لفك بعض غموض تكويناته الداخلية. فتقسيم قصيدة "قداس لروح شاعر على حافة العالم" تعكس الحداثة الكونية المبكرة للبريكان، فعلى الرغم من تقسيماته الدرامية للقصيدة في الأصوات والجوقة وصوته هو - أي الشاعر - إلا أن القصيدة عكست في الوقت نفسه قصدية البريكان في اعتبار العالم محض "دراما" يمكن للشاعر وحده أن يرويها لنا من مركزه الفكري أولاً.. وقد أفاد البريكان في قصيدته آنفة الذكر من التراجم التي نشرت عن آنشتاين والنظرية النسبية في أواخر الستينيات وبدايات عقد السبعينيات من القرن العشرين السابق على نحو خاص. ولذلك يهرع الشاعر إلى الكون في محاولة لبث تساؤلاته الشعرية والفلسفية في آن. ظهر ذلك بوضوح في موقف الجوقة: (عند خطوط الحدود / تندمج الأزمنة). وقد راعى البريكان تحول الزمن إلى صفر عند حافة الكون.. في القداس البريكاني عن اتحاد الخيال بالواقع (= الأحلام + الحوادث) يحدث ذلك عند خطوط الحدود بين الحياة والموت، بين الحقيقة والحقيقة المطلقة، لكن البريكان حتى في لحظة الوقوف عند خطوط لحدود غير عابئ بالطلق، اللهم، سوى تلك الإشارة الخفية في ابتسامة الأموات للأحياء، تلك الابتسامة الغامضة الناتجة عن رحلة طويلة لا معنى لها. ثم إن الشاعر يأتي في تلك اللحظة بكل ما حدث منذ البداية وحتى نهاية الرحلة في عالم صعب يقترب من الوهم في نهايته إلى حد بعيد، إذ لا شيء في ترشحه إلا: (ترتسم الطفولة البيضاء في صفحة النهاية)! وهي صفحة البداية أيضاً، فلا مكان في كل ما كان إلا للنقاء والطهر الطبيعيين الناتجين عن عالم الطفولة، وكأن ما جاء بعدهما محض مدنس!

وفي حداثة البريكان العلوية يمكن أن نجد معنى من خلال تفتق معاني سر الحزن اللازم لبني البشر، وربما يكون ذلك في الوقت نفسه حلاً معقولاً لأحزان العالم المتراكمة. إنها ذات اللحظة التي كتب عنها، ت. لورنس: "بدأنا في فجر يوم مشرق، لهب أحاسيسنا مع الشمس، وبساعة أو ساعتين في صبيحة ذلك اليوم تسللت إلى ذات الإنسان أصوات العالم وألوانه مباشرة، ولم يتخللها التفكير" (2). إن قداس البريكان الشعري هو التسلل نفسه إلى ذات الإنسان، حيث لحظة تكور العالم التي لم يتخللها التفكير، إنها لحظة الحدس نفسه بمعنى النهاية والبداية في آن، حيث يشاهد الإنسان من موقعه الكوني صورته من لحظة البداية وحتى لحظة موقفه البريكانية، إذ لا شيء سوى الموت (=نقطة التحول) الكامن في الوجود، ومكمن كل تحولات المعرفة الآتية من عالم آخر. هكذا يعمل الشاعر محمود البريكان على وضع نهاية لدراما العالم عند خطوط الحدود الفيزيائية والميتافيزيائية في لعبة الخلق والإنسان. إن قصيدة "قداس لروح شاعر على حافة العالم" هي إعلان عن ولادة حداثة كونية نقلت الشعر العراقي الحديث إلى آتون جديد من الرؤية الشعرية المفعمة بالتساؤلات الحيرة غالباً.

محمود البريكان
متاهة الفراشة
سبعون قصيدة

تتحول حداثة البريكان من تناول الكون الأوسع إلى الأرض باعتبارها مركز الكون في الفكر الإنساني القديم.. ففي قصيدة "بلورات" 1970 يختار الشاعر شذرات من الأحداث الأرضية ليصبها في جسد القصيدة الخارجي وتكويناتها الداخلية، وهي بلورات بيض واضحة يمكن لأي عابر سبيل في عالم الأرض اكتشافها بسهولة. يبدأ البريكان بلورته في آتون السكون المطبق الذي غلف الأرض قبل بدء الخليقة (كساعة خفية، قلب الصمت). كانت الصخور - وهي ولع البريكان الشخصي - تنتظر الوعد القادم بالبدء في موقعها عند السواحل القصية. إنها توكيد لنظرية الخلق الآتي من الماء أولاً. ثم تأتي بعد ذلك (ساحرة الأشجار / تفرز سماً غامضاً) وهي تذكر من طرف خفي في اللاوعي بتلك الشجرة التي بدأت منها الخطيئة.. لكن البريكان لكي يموه تلك الخطيئة يصفها (تفرز سماً غامضاً) ربما هو سم المعرفة الأرضية أيضاً؟ ولذلك فهو يركب مباشرة بداية الحياة في رؤية (بين جذور الغار / يمتد جذر العدم الأسود) والغار نبات في الكهف، بيد أن البريكان يؤكد على نحو مباشر أن جذر العدم الأسود (= الفناء) يضبع مع جذور الحياة في وحدة من التناقضات كاملة.

ويعود البريكان إلى الأرث التوراتي باعتباره من اقدم المعارف الانسانية في تفسير خلق العالم الأرضي ميثلوجيا، إذ يذكرنا بقصة الحية ودورها في الغواية.. لكن البريكان يتفتق عن نوع الحيات نفسه (تنطرح الحيات / جميلة تحت مرايا الشمس). ومن المناسب أن نذكر في هذا المقام بأهمية ذلك الكائن الذي لازم بني البشر منذ البدء، فلولا تلك العلاقة الحميمة التي جمعت منذ البداية في حياة الكهوف، وقدرة الانسان القديم على التعامل العرقي مع ذلك النوع من الزواحف لأبيد بنو الانسان في اماكن تواجدهم الأولى. ومن هنا فإن البريكان يضع انطراح الحياة في توازٍ مع بدايات أية معرفة انسانية (=مرايا الشمس)، ثم تبدأ بعد ذلك ملمة المعرفة في اكتشاف اللون واللغة وهما الأداتان التعبيريتان الخلاقتان في عالم الكهوف. يجمع البريكان في تلك الصور مصادر عن الخليقة في خليط من الكتاب المقدس والفكر العراقي القديم في محاولة لحل رموز العلاقة بين الخلق والبشر (3).

كانت الاولى التي لابد للانسان من ان يتبعها (تبع دبيب الهمس / في غابة الاصوات). وهكذا يصبح العالم الموضوعي هو المصدر الوحيد للمعرفة الانسانية منذ البداية، وفي منطقة واحدة يكمن عمق الكون. لكن وجود الأحلام في تلك الحيوات الإنسانية القديمة تجعل من الأجابة عن كل الاسئلة شعرياً امراً عسيراً، حيث تتداخل النقطة بالحلم ويعود تفسير ذلك غريباً: هل نحن في حالة يقظة أم حلم؟ وما الحدود الفاصلة بين الاثنين في ذلك الزمان السحيق؟

وبإزاء تلك المفارقة الغريبة بين الحلم واليقظة تنبثق الذاكرة لتكون منعطفاً معرفياً جديداً، وهي بحد ذاتها تجميع لمعاني الحلم واليقظة، واستعادة جديدة لهما، لها استقرار دافئ لعموم التساؤلات الانسانية العارمة لكن البريكان لا يفتأ يتساءل من جديد (من يخرج الانسان من هذه الدائرة؟). لا شك في ان علماء الانثروبولوجيا استطاعوا الى حد ما الاجابة عن كثير من تلك التساؤلات، ومع ذلك، فإن البريكان يشك في امكانية الخروج من سلسلة لا نهاية لها من الاسئلة الخلقية الاولى، ويقترح علينا في مفاجأة ودودة (ثمة اغنية / منسية، هيهات تستعاد / في موجة الاغاني).

الغناء هو اول ترتيب للاصوات في منح المعنى، واذا كان البريكان قد حدد صفة الغناء فهو اراد ان يكون بمثابة الحلقة الاخيرة في سلسلة الاصوات، الشفرات، اذ بدأت في الترنيم والترتيل في مرحلة متقدمة. هل الغناء هو الحل للخروج عن دائرة تفتق المعارف الانسانية بازاء كون غامض في ماضيه السحيق وحاضره العميق؟ يضع البريكان الاغنية في اطار محايث، فهي على العموم غير الاغاني المعهودة، انها الاغنية المنسية والغائبة عن رقعة التاريخ الانثروبولوجي، وهي الاجابة في الوقت نفسه!

تأتي الاجابة في سطر واحد مباغت ايضاً، (يمكن ان يصنع تمثال من الرماد!) وفق تعجب استنكاري؟ ها هي الاستحالة المطلقة تفرض نفسها، فالرماد، دائماً لا يصلح الا ان يكون رماداً، لأنه النهاية العدمية بعينها، فلماذا يؤول كل شيء الى الرماد دائماً؟ هكذا يحاول البريكان ان يقدم اجابة اخرى عن تساؤل، لماذا خلقنا؟ اذن فإن المعاني اكبر دائماً من الالفاظ وما محاولة الاخيرة اسقاط ستار عليها حالة طارئة يكشف عنها شعر البريكان الكوني. فالحياة لا سحر لها في طورها الثاني اليومي المتكرر، بل في نسختها الاولى الحدسية التي تتجمع فيها المعارف الانسانية البدائية.

ويعبث الموت بكل شيء، فلا تبقى اي ثوابت معرفية سواء عن عالمنا الماثل او ما يمكن ان يؤول اليه الانسان بعد اجتيازه ذلك البرزخ من التحول الغامض، الهاوية!، واذ يساوي البريكان بين الموت والهاوية وضياع الاحلام، فإنه يصل بذلك الى منتهى عدمية الانسان، ولا جدوى وجوده في عالم غامض ومليء بالتساؤلات التي يصعب الاجابة عنها ثم يعود البريكان من جديد الى نقطة انطلاقه في اعتبار (الزمن صفر) الذي تطوى في داخله (تخترق الدهور في ثانية / تنصهر الروح ولا يصدر عنها صوت) فالعدم في رؤية البريكان ما هو الا غياب للشفرات الاولى من المعرفة (الصوت). فقد صنع الشاعر محمود البريكان من بلورته مواجهة حادة بين ما هو فلسفي وما هو شعري وفي توليفة قل نظيرها في الشعر العربي الحديث.

تقترب حداثة البريكان الشعرية من العالم / الكون / الارض حثيثاً، فما دام الامر يتعلق بالوجود واسراره فإن اللعبة لا نهاية لها. واذا كان البريكان قد عكف على الاحتفاظ بصندوق صخور في بيته، فهو قد حمل معه في روحه صخوراً اخرى لا تقل اهمية عن صخوره المنزلية الخاصة. كان البريكان - كأسرة - يتحدر من صحراء نجد، وقد كونت الصحراء عالماً قائماً بذاته في عموم تجربته الشعرية. وهكذا فمن الطبيعي ان يبدأ تحديد وجود البريكان كسلالة من الصحراء، فجاءت مقطعاً اولياً في قصيدة دراسات في عالم الصخور (مزولة عظيمة للشمس في الصحراء / علامة على رمال التيه) بهذا التحديد تقع صخرة البريكان الصحراوية، كتأشير لبداية الزمان. فاذا كان الماء - وحده - بدءاً للخليقة، فإن الصحراء بداية للانسان ودلالة على بدء التيه، وهي كذلك اجابة في الوقت نفسه عن تساؤل بداية الخلق من الماء ايضاً لكن تلك الصخرة لم تكن - في الاصل - الا شاهد قبر الانسان يحمل عدداً لا نهاية له من الاسماء، وهي عبارة عن ملصق (كولاج) لعموم بداية الاشارة للخلق الانساني المندرس، الاسماء ويرسم البريكان تلك الصورة -

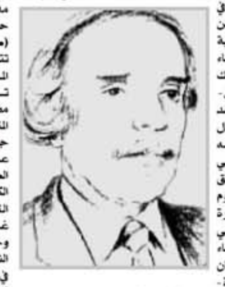

وكذلك صور أخرى - للاعتذار او التملص من الاجابة، وتلك البدائية لا تشتمل على شكل القصيدة فحسب، بل تكاد معرفتها لتكون وحدة متصلة من الانفعالات الممزوجة بالتساؤلات فالبريكان يميل منذ البداية الى الاخفاء الدائم، وبخاصة ما يتعلق بقضايا الوجود والخلق، ففي صخرة البريكان الثانية يذهب بعيداً الى عمق الحركة الداخلية في الطبيعة، وغير المرئية (حوادث غريبة / تحدث في بواطن الصخور / بلورها المكنون / شعاعها الخفي / سطوحها) انه يرصد عملية التكوين عن كثب، ويتعامل مع ادق التكوينات الطبيعية، يذكرنا بأن ما حدث، كان غريباً عنا، وغريباً علينا، ولا يريد لنا فيه، وما نحن في حقيقة امرنا الا مراقبون، فها هي هندسة الشظايا، تكشف لنا رياضة اللعبة ودقة التكوين. وعلينا الا ندع ذلك الى المصادفة العمياء .. من هنا، من عمق تكوينات الأرض، يمكننا ان نعرف ابجدية العصور من العصر الحديدي الى العصر الحجري.. كل ما حدث في الطبيعة هو اضافة معرفية لنا جديرة بالتأمل، ولذلك وصف عنوان قصيدته بدراسات، لكنها بالطبع دراسات شعرية ذات ايحاء كوني ومن نوع خاص. ولذلك وصفت الناقدة العربية سلمى الخضراء الجيوسي الشاعر محمود البريكان (شاعر ذو اصالة عظيمة ونظرة كونية) وتكاد صفة النظرة الكونية في شعر البريكان يتلمسها غير ناقد لشعره وبخاصة ما يتعلق بالدلالات الفكرية الحية، وكذلك قلق الانسان في مواجهة مصيره.

يتابع البريكان صخوره في مشاهد مختلفة، ونجده اقرب الى لغة العلم (للنظرة الاولى، توازن الكتلة / للنظرة الثانية / تمثال وجه صارم يستطلع الافق / للنظرة الثالثة: / قصيدة التكوين). ويغلب اسلوب التقطيع الصوري على بناء القصيدة خارجياً حتى تبدو كأنها كاميرات ترتب الحدث الشعري، فاليقظة الاولى، توازن للكتلة بعد اختلال سبق ذلك، ومثل استقراراً يمكن للرائي الاطمئنان اليه ثم تظهر الصخرة في اللقطة الثانية وقد باشرها ازميل نحات لم يعلن عنه، لوجه صارم يستطلع افقاً ما، هكذا تتحول الأشياء المجهولة الى معارف. اما في النظرة الاخيرة، فإن الصخرة الفيزيائية تنتقل الى الذهن لتستقر كقصيدة تكوين. هكذا يراد للابداع ان يكون من جوف التامل للعالم البدائي، وللملاحظ وصف التكوين الذي يحيلنا مباشرة الى العهد القديم في صحاح الخلق والتكوين للعالم (سفر التكوين).

وفي مشهد (صخرة في طريق جبلي) يسطر البريكان وصف لون الحديد الخامد الاحمر في الصخور النارية التي لفظتها البراكين منذ ملايين السنين، يؤكد البريكان شيخوخة خطوطها، ثم يأتي بغتة، بآلهة قديمة لعالم منسي، لا اسم لها، ولم تدون في كتب تاريخ الآلهة، لتتفطر الصخرة الحمراء من جديد تحت دوي رعد الآلهة الذي ارتبطت به دائماً حيث تبدأ الصواعق القديمة للآلهة القديمة النظر كاملاً في عملية من الغياب مثيرة. ما الذي بقي لنا بعد نهاية النظر؟ انها قصيدة (التكوين) التي يخبرنا عنها الشاعر البريكان وحده، لأنه الوحيد القادر على ذلك الفعل العرقي الفاضح. ثم تتعقد الصورة على نحو مذهل وسريالي الى حد ما في مشهد (صخرة في محطة) اذ تتحول الصخرة هذه المرة الى ام متناهية تترك ذراعيها مفتوحين للقادم المتعب، صديقة جميع المسافرين الى عالم المجهول، الصخرة العتيقة الكهلة والمتعة في آن، التي تحرس الامتعة غير المعرفة على وجه الضبط. انها في النهاية تحمل المعرفة في ظلام العالم. هكذا تتحول صخور البريكان الى كائن انساني يمكنه وحده ان يفك حروف طلسم الخليقة شعرياً.

اراد البريكان في قصائده (قداس لروح شاعر على حافة العالم) و(بلورات) ثم (دراسات في عالم الصخور) والتي يؤشر تاريخ كتابتها بعام 1970، وقدرة البريكان على رسم نهج خاص به في الشعر من خلال النماذج التي قدمها والتي تشترك في جغرافية واحدة الى حد بعيد. لم يقصد البريكان من عمله ذاك.

كما يبدو للوهلة الاولى (6) افناء ذاته في الطبيعة او الاتصال بقوى من خارجها كما فعل شاعر الهند الكبير طاغور (6). يحاول الشاعر محمود البريكان ان يتميز عن غيره من الشعراء سواء في سلوكه الشعري او بنائه النصية على نحو دائم مما جعله ظاهرة ادبية في عموم الشعر العراقي الحديث في جيل ما بعد الرواد. واذا كانت قضية العزوف عن النشر قد ساعدت الى حد بعيد اضفاء حالة خاصة على شخصية الشاعر الا انها اسهمت بهذا القدر او ذاك على تعطيل الرؤية النقدية لشعره. ولذلك فإن تجربة الاعتزال البريكانية المادية والروحية والشعرية يمكن ان يعاد النظر فيها من حين لآخر ومن زاوية رؤية الى اخرى وكلما سنحت الظروف بذلك.

(1) الحداثة 1890-1930، مالكم برادبري وجيمس ماكفارلين، ترجمة، مؤيد حسن فوزي، بغداد، دار المأمون، 1987، ص19.

(2) ما بعد اللامنتمي، كولن ولسن، بيروت، دار الاداب، ط 2، 1969، ص19.

(3) الحياة الروحية، كلشكوف، ترجمة، عدنان حمودي عاكف، دمشق، دار المدى، 1995، ص46-8.

(4) محمود البريكان، دراسات ومختارات، عبد الرحمن طهمازي، بيروت، دار الاداب، ط1، 1989، ص10.

(5) د. الشاعر علي جعفر العلاق، المشهد الشعري العراقي (11)، القصيدة الحديثة بعد جيل الرواد (محمود البريكان) (شبكة المعلومات الدولية).

(6) ينظر: جبتنجالي، روائع طاغور في

سحراً.

اليك .. ولي مؤمل عودة
الى الملتقى .. اهدي حزني [illegible]

سحرا وقد خفقت على الارجاء اجنحة السكون
وتمزقت حجب الدجى وتعانقت هدب العيون
وتحركت للسعي اجنحة الطيور على الوكون
يبكي على تلك المغاني عاشق جم الشجون
ويبل ذياك الثرى بالدمع .. بالدمع الهتون
ويثير ذكرى قد طوتها في غياهبها السنون.

+++

سحرا وقد سطع الشعاع ورف لألاء الضياء
وتخضب الافق السني النور .. مزدهر الرواء
وشدت بلابل في الرياض ورجعت عذب الغناء
يشكو فتى هيمان شقوته هنالك والعناء
ويهيج من اعماق ذاك القلب مستتر الرجاء
وينوح مضنى القلب ملتاعاً وما يجدي البكاء.

+++

سحرا يطوف في الربوع وقلبه دامي الظلام
والكائنات يلفها صمت ويطويها سلام
لهفان يشقى والمضاجع هاجع فيها النيام
تبكي مآقيه ويبكي القلب مستعر الضرام
والسهد في عينيه يبدو والشقاوة في الحطام
اسيان لا املاً يعيش به الا الم الجسام
يحيا ليندب حلمه الداجي اذا حلك الظلام
متشوق الخفقات مربد المنى ذاكي الهيام
يا شقوة العشاق من امل يموت ومن اوام

في الرياح التاريخية

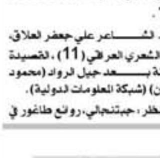

محمود البريكان

حين توارت جثث الاموات
واتضح المشـ
تجسّدت فظاعة المأساة
عن ارثنا الاسود
ميراثنا المشؤوم، جوع القبور
عار ضحايانا
ميراثنا كل عقاب العصور
عن كل ما كانا
انا تخطّيت امام الضباع
والوحش عن سهمي
لا مجد للمجد فخذ يا ضياع حقيقتي واسمي.
1963